

النشاط الأوربي بمصر وجيرانها

أواخر القرن الثامن عشر الميلادي

مصادره ووثائقه

ليس الغرض من هذا المقال استقصاء أوجه النشاط الأوربي السياسي أو التجارى أو الثقافى فى مصر ، وليس الغرض استقصاء المراجع الخاصة بهذه النواحي جميعها ، أو ناحية معينة منها . وإنما يهدف هذا المقال إلى التعريف ببعض نواحي هذا النشاط ، ومحاولة الإشارة إلى المدخل الصحيح للبحث فيها .

الدول الأوربية صاحبة النشاط الأول فى مصر وما جاورها من البلاد أواخر القرن الثامن عشر الميلادي (أى البلاد التى ارتبطت بحكم هذا النشاط الأوربي فى ذلك الوقت بمصر ، وهى الساحل الشامى وساحل البحر الأحمر الشرقى)—هى فرنسا وإنجلترا . فلقد كان لكل من هاتين الدولتين مصالح واضحة المعالم ، وإلى جانب هاتين الدولتين كان لكل من روسيا والإمبراطورية النمسوية نشاط معين فى مصر ، يظهر ويتجنى حسب الأحوال السياسية فى الشرق الأدنى ، أو العلاقات السياسية بين كل منهما والدولة العلية ، كما اقتصر نشاط الأولى على الناحية السياسية والثانية على التجارية .

لم تكن المسألة المصرية ظهرت بعد ، إنما كانت أهمية مصر من الناحية الدولية تنحصر فى ذلك الشريط الضيق الذى يصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض . وكان هذا الشريط يمثل فى الحقيقة جزءاً من تلك المشكلة العتيقة ، مشكلة الهند ، وهى مشكلة متحركة لا تكاد تستقر فى مكان معين ، بل تسعى سعياً وراء المراكز البحرية الحيوية العالمية ، فهى تارة فى الخليج الفارسى ، وأخرى فى السويس ، وثالثة حول رأس الرجاء الصالح ، وهكذا . أما إنجلترا فتمثلت مصالحها

السياسية والتجارية في مصر في ثلاثة أمور: أولاً - تجارة شركة الليفانت مع مصر ، وهذه وإن بدت ناشطة باعثة على الأمل أواخر القرن ١٦ ، إلا أنها أخذت تتخبط - لعوامل كثيرة - بين الهبوط والصعود حتى استقر بها المقام إلى اضمحلال تام حوالى منتصف القرن ١٨ . ثانياً - تجارة الهند البريطانية في البحر الأحمر ، وهذه نشأت في القرن ١٧ ، وظلت في صعود وهبوط لعوامل ترجع أغلبها إلى حالة إقليم البنغال الاقتصادية. وكان أهم ما يميزها عن غيرها من فروع تجارة الهند البريطانية أنها مجلبة للعملة النقدية ، سر النشاط الذى أصاب هذا الفرع التجارى في السبعينات من القرن ١٨ هو الأزمة المالية التى عانتها البنغال ، وظهرت بشكل واضح سنة ١٧٧٢. ثالثاً - استخدام طريق البحر الأحمر والسويس للمراسلات بين الهند البريطانية ولندن ، وهذا دعت إليه الحاجة الماسة إلى اتصال أسرع من اتصال رأس الرجاء الصالح ، بين السلطات البريطانية في الهند ولندن ، حين دخل النزاع بين بريطانيا وفرنسا في الهند أواخر القرن ١٨ في مرحلته الحاسمة لتقرير مصير هذه المستعمرة .

أما اهتمام فرنسا بمصر فأساسه أولاً - تجارة مرسلينا مع مصر . ثانياً - محاولات لإحياء الطريق البحرى عبر مصر للنقل التجارى بين الهند والغرب ، وقد دعا إلى هذه المحاولات عدة عوامل أهمها سيطرة الإنجليز والهولنديين على طريق رأس الرجاء الصالح ، وموقع فرنسا الجغرافى فى البحر الأبيض المتوسط ، والمركز الذى تمتعت به فرنسا لدى الباب العالى منذ أوائل القرن ١٦. ثالثاً - محاولات جدية لاحتلال مصر نفسها ، وهذه دعت إليها المنافسة البريطانية الفرنسية فى الهند ، وضعف الإمبراطورية العثمانية ، وتقلصها لحساب روسيا والإمبراطورية النمساوية ، وتوقع سقوطها ، وضعف النفوذ العثمانى فى مصر ، وسيطرة البكوات المماليك على مقاليد الأمور فيها . وهنا تبدو السياسة الفرنسية ذات الوجهين ، وذلك الخطأ السياسى الذى وقع فيه رجال الحكم فى فرنسا حتى عهد الثورة ، وهو احتلال مصر - وهى ولاية عثمانية هامة - ، والاحتفاظ فى نفس الوقت بالصدقة الفرنسية العثمانية والنفوذ الفرنسى فى الدولة العثمانية .

أما روسيا فكانت سياستها الدائمة مساعدة الخارجين على الباب العالى فى الشرق العربى ، وتجلت هذه المساعدة فى ثورة على بك الكبير والشيخ ظاهر

العمر صاحب عكا ، وفي نشاط القناصل والعلماء ولا سيما Thonius في القاهرة والإسكندرية على عهد مراد وإبراهيم بك .

وأما الإمبراطورية فقد أخذت تفكر جدياً فيما بين ١٧٨٠ و ١٧٨٣ في استغلال طريق البحر الأحمر والسويس للنقل التجارى بين الهند ومراكز الإمبراطورية في البحر الأبيض ، وهى تريستا ولجهورن . وكان يعمل على تحقيق هذا المشروع الرسول الإمبراطورى في القسطنطينية ، وأنطون كاسس Anton Cassis ملتزم الجمرك في القاهرة ، وكارلو روسيتى Carlo Rosetti القنصل الإمبراطورى العام في القاهرة .

ماذا كان موقف الباب العالى من هذا النشاط الأوربى في مصر؟ مع أن الدولة العثمانية لم تكن — كما زعم بعض المؤرخين الأوربيين (١) — بدخولها البحر الأبيض مسؤولة في قليل أو كثير عن تحول النقل التجارى بين الشرق والغرب عن طرقه القديمة إلى طريق رأس الرجاء الصالح ، إلا أنها لم تسع بدورها إلى فتح (٢) هذه الطرق القديمة للنقل الأوربى التجارى حين بسطت نفوذها على البحار العربية في الشرق الأدنى. فظلت هذه البحار خاملة ، بل وقفت الدولة العثمانية — متعمدة ولغرض واضح — حاجزاً بين العالم الأوربى من ناحية والمجتمع العربى في الشرق الأدنى من ناحية أخرى ، فرفضت كل المحاولات الأوربية حول منظمة البحر الأحمر والسويس . ولا صحة مطلقاً للرأى الذى ساد في أوربا — وإنجلترا — بصفة خاصة في أواخر القرن ١٨ — أن الباعث على موقف الباب العالى من هذه المحاولات الأوربية كان تحريض شركة الليقانت ممثلة في سفيرها في القسطنطينية . Sir R. Ainslie ويكفى أن نقرأ ما كتبه R. Liston ، خليفة Ainslie في السفارة البريطانية لدى البلاط العثمانى ، إلى Grenville

(١) برهن ليباير Lybyer بشكل قاطع على أن الأتراك العثمانيين لم يتسببوا في تحول التجارة بين الشرق وأوربا عن الطرق القديمة إلى الطريق البحرى في مقاله :

The Ottoman Turks and the Routes of Oriental Trade.

(Eng. Hist. Review. Vol. XXX. Oct. 1915).

(٢) الأمر الوحيد الذى نعرفه خاصاً بهذا الموضوع هو الاقتراح الذى قدمه القبطان باشا

١٥٨٦ للسلطان لفتح الطريق عبر البحر الأحمر والسويس لتتاجر الهند .

F. Charles-Roux : Le projet Français de commerce avec l'Inde par Suez sous Le règne de Louis XVI. Paris 1925. P. IX.

وزير خارجية بريطانيا العظمى في ٢٤ يناير ١٧٩٥ - لندرك أن الباب العالي كان جاداً تماماً في سياسته العدائية نحو هذا النشاط الأوربي في مصر .

The difficulty of obtaining the consent of the Ottoman Government to a measure which they have uniformly opposed, in consequence of *religious and political prejudices*, led me to wish for further instructions from your lordship before I made any overtures on the subject to the Sublime Porte. In order to gain time with Mr. Baldwin,⁽¹⁾ I wrote to him that I should delay giving my opinion concerning the probability of success here, till I was better acquainted with the precise nature of arrangement proposed He proceeded upon the supposition that the *obstacles which* have been hitherto opposed to this transition were owing to the *aisinclination* of my predecessor in the Embassy, whith whom he had a violent personal difference. But I find by an attentive perusal of the official *correspondence* that the blame thrown upon Sir R. Ainslie on this occasion is without foundation.... I hardly (see) the possibilty of obtaining the sanction of the Sultan to the arrangement in question The general idea of the impropriety and the danger of opening the navigation of the Red Sea to the Christian nations (is) continuing here with the *same force as formerly*. Indeed even at the moment of the last rupture between this country and Russia, when the friendship of Great Britain was regarded as most immediately necessary, when two chief members in the Administration were evidently attached to the Ambassador

(١) كان جورج بلدوين في ذلك الوقت قنصل بريطانيا العام في القاهرة ، ولو أنه في الحقيقة قضى أغلب وقته في الإسكندرية ، مخالفاً بذلك تعليمات وزارة الخارجية البريطانية . وكان بلدوين على كل حال من أشد الإنجليز تحمساً لمشروع الطريق البري .

(١) - مشكلة اتشاكوف (Oczkov) في ١٧٩١ - ظهرت حين استولى الروس على هذه المدينة، وطالب التحالف لثلاث كاثرين إمبراطورة روسيا بردها إلى الباب العالي ، مهدداً إياها بإعلان الحرب في جانب السلطان العثماني . وكانت فرنسا مشغولة في ذلك الوقت بالثورة ، فظهر رأي في دوائر حزب التورى ينادى بضرورة مساعدة الباب العالي ضد روسيا ، نظير الاستيلاء على النفوذ الفرنسي في الدولة العثمانية التي خلفها النظام القديم وراءه ، ومنها النفوذ الفرنسي في مصر (Pubic Adviser 92 April 1971) ، بل أكثر من هذا قام رأي ينادى باحتلال بريطانيا لمصر نظير هذه المساعدة البريطانية للباب العالي ضد روسيا . انظر Sir John Dalrymple: Queries London 1791

and possessed of unlimited authority, all that could be extorted was a promise of the freedom of conveying packets. At the present juncture no such favourable circumstances exist, and it is particularly to be observed that there is not in the Turkish Ministry any man of sufficient weight or resolution to carry through an unpopular measure even allowing his interest to be secured.

ومن الممكن تقسيم مصادر هذا الموضوع إلى

أولاً — الوثائق الرسمية الإنجليزية ، وهذه بدورها تنقسم إلى :

(١) وثائق موجودة في Public Record Office بلندن، وهي

١ — S.P. 97. وهي وثائق خاصة بالعلاقات العثمانية البريطانية ؛ تشمل المراسلات المتبادلة بين السفراء البريطانيين في القسطنطينية ووزراء الخارجية بلندن ، وبين هؤلاء السفراء والريس أفندي وزير الشؤون الخارجية في تركيا ، وبين السفير والقناصل أو الوكلاء البريطانيين في المناطق الخاضعة لامتياز شركة الليقانت — حتى يناير ١٧٨٠ م .

٢ — F.O. 78 Turkey ، وهذه الوثائق تشمل المراسلات من النوع السالف ، ابتداء من يناير ١٧٨٠ إلى ما بعد ذلك .

٣ — F.O. 24 Egypt ، وهذه تبدأ من يناير ١٧٩٨ ، ولكنها تحوى في المجلد الأول بعض المراسلات الخاصة بالمدة بين ١٧٩٥ ، ١٧٩٨ ، كمراسلات بلديون للسفير أو وزير الخارجية .

٤ — S.P. 105. (الأجزاء ١١٢ — ١١٨) ، وهذه تشمل المراسلات بين شركة الليقانت والسفراء البريطانيين في القسطنطينية الخاصة بتجارة الشركة مع مصر والمحاولات المتكررة لإنشاء قنصلية بريطانية في القاهرة . خلال القرنين ١٧ ، ١٨ حتى ١٧٥٧ .

(ب) وثائق موجودة بمكتبة وزارة الهند India office (وهي التي يطلق

عليها الآن Ministry of Commonwealth Relations)

١ — Factory Records, Egypt & the Red Sea Vols, III - V.

وتتماز هذه الوثائق بأنها تشمل المراسلات الخاصة بعلاقة شركة الهند الشرقية بمصر والبحر الأحمر (جدة — مخا) . وهي عبارة عن المراسلات المتبادلة بين تجار الشركة وحكام البنغال والسلطات البريطانية في بومباي كما تشمل المراسلات

بين السلطات البريطانية في الهند والمركز الإداري للشركة في لندن . هذا إلى جانب عدد كبير من التقارير والآراء والمقترحات ومقتطفات من تقارير مقدمة في أغلبها من تجار الشركة، وإحصاءات في شكل جداول عن عدد الأيام التي قطعت فيها المسافة بين لندن وكلكتا ولندن وبومباي والعكس، خلال شهر السنة، كما تحوى أيضاً بعض صور لعدد كبير من المراسلات الموجودة في F.O. Turkey 78 الخاصة بمصر . وهذه الوثائق في حاجة إلى تنظيم، كما أن عدداً كبيراً من التقارير والمقترحات غير ممضاة^(١). وأهمية هذه الوثائق بالذات أنها حافلة ولا سيما في الجزء ٣ بالأوراق الخاصة بالنشاط البريطاني في البحر الأحمر، كما تفيد في توضيح وجهة نظر شركة الهند البريطانية من محاولات إحياء الطريق البري للمراسلات بين الهند البريطانية ولندن، ومحاولات إحياء تجارة الخليجان^(٢).

Home Miscellaneous, 436-145 — ٢

وهذه المجموعة تشمل الوثائق والمراسلات الخاصة بتجارة الهند البريطانية مع السويس، وطريق المراسلات بين الهند البريطانية ولندن عبر البحر الأحمر ومصر في المدة حوالى ١٧٩٠ وما بعدها .

Marine Records Miscellaneous, 891. — ٣

وهذه المجموعة خاصة بمحاضر جلسات مجلس الحاكم في البنغال Bengal Public Consultation، والمناقشات التي دارت حول مشروع إحياء تجارة الخليجان، في ١٧٧٦ و ١٧٧٧ .

Calender of Persian Correspondence, IV. — ٤

وهذه خاصة برسائل وارن هاستنجز Warren Hastings حاكم البنغال إلى علي بك الكبير ومحمد بك أبو الذهب (بكلمر بك^(٣) مصر في ١٧٧٢ ، ١٧٧٣ ، ١٧٧٤ .

(١) قدم كاتب هذا المقال بعض الملاحظات للسلطات المسؤولة بالمكتبة (سبتمبر ١٩٤٨) خاصة بتنظيم الوثائق، ومحاولة إرجاع غير الممضاة منها إلى أصحابها .

(٢) المصطلح المعاصر الذي أطلق على تجارة الهند البريطانية في خليجي فارس والبحر الأحمر .

(٣) أما التصريح الذي أعطاه محمد بك أبو الذهب تحت إلحاح الرحالة الإنجليزي جيمس

بروس James Bruce للسفن التجارية الإنجليزية بدخول المنطقة الحرام حتى السويس، والذي على أساسه تكونت شركة Suez Adventure ١٧٧٣ وأبرمت اتفاقية هاستنجز - محمد بك ٧ مارس ١٧٧٥ - فقد كان في فبراير ١٧٧٣ . ومع أن التصريح وصل إلى البنغال فإن هاستنجز

Melville Manuscripts

(ج)

وهذه وثائق خاصة بلورد ميلفيل (Henry Dundas)، ومقسمة إلى جزأين : جزء في حيازة^(١) H. Furber، وهي تحتوى على المراسلات المتبادلة بين هنرى دنداس وجورج بلديون ، وهي هامة لأنها تلتقى بعض الضوء على طبيعة العلاقة بين الرجلين. والجزء الآخر من هذه الوثائق في المكتبة العامة بمدينة إدنبره National Library of Scotland، وهي تشمل المراسلات المتبادلة بين هنرى دنداس والقناصل البريطانيين في ثغور الليقانت .

British Museum Additional Manuscripts (د) وثائق المتحف البريطاني

29210 — 15778 — 21416 — 33557 — 29301 — 38394 — 36223.

وهي عبارة عن مجموعة متفرقة من الوثائق أغلبها يدور حول الفترة ما بين ١٧٧٢ ، ١٧٧٥ وتشمل المراسلات بين على بك ووارن هاستنجز، كما تشمل نظام شركة Suez Adventure وقوانينها ومقترحات خاصة بالتجارة الهندية مع السويس، ونصاً كاملاً لاتفاقية « هاستنجز — محمد بك » . ولكن يعيب هذه المجموعة أنها غير منظمة، كما أن بعض أوراقها غير ممضاة .

— فيما يبدو — لم يعلم بالانقلاب الذى حدث في مصر وانتهى بتولية محمد بك أبى الذهب مشيخة البلد، فظلت خطاباته إلى مصر في ديسمبر ١٧٧٣ توجه إلى على بك . ويبدو أن الأمر في أوائل ١٧٧٤ التبس عليه أيضاً ، بدليل أنه وجه خطاباته إلى « محمد على » سلطان مصر . راجع C.P. Corresp. IVe P. 15 & 122. أما كلمة بكلكر بك فجاءت في الغالب نتيجة لعدم إدراك السلطات البريطانية في الهند أن اللقب من حق باشا مصر العثماني، وليس شيخ البلد . ومع هذا فن المفيد أن نعلم أن أنطوني هايز Anthony Hayes القائم بأعمال السفارة البريطانية في القسطنطينية أرسل إلى وزير الخارجية البريطانية Earl of Rechford في ٣ يوليو ١٧٧٥ ما يلي :

It is assured that Mehemet Aboudaheb, Governor of Cairo, who was ordered to act against Sheck Daher of Acri, an old Rebel, has beat (en) his troops, and recovered Jaffa, and the Porte, has, upon account of his success, named him Pacha of Cairo (Egypt), giving him three tails, which dignity subjects him to a removal to other Paschalychs, and is thought to be a politick (cal) step of the Porte, who began to grow jealous of his power and abilities. However it is supposed that he will politely decline accepting of that honour, to avoid a snare, that may soon prove his ruin on quitting Egypt. S.P. 97. 51.

(١) أستاذ في إحدى جامعات الولايات المتحدة بأمريكا ومؤلف كتاب :

Henry Dundas, First Viscount Melville, London, 1921.

(٥) وثائق مطبوعة .

Calender of State Papers (Spanish).	1580 -- 6	— ١
Calender of State Papers (Venetian).	1581 -- 91	— ٢
” ” ” ” ”	1603 -- 7	— ٣
” ” ” ” ”	1621 -- 27	— ٤
His Majesty's Commission 'Salisbury' III.		— ٥
” ” ” Downshire I.		— ٦
” ” ” Finch I.		— ٧

وجميع هذه الوثائق تشمل المراسلات المتبادلة بين شركة الليفانت والسفراء البريطانيين في القسطنطينية. وبين هؤلاء السفراء وباشوات مصر، وغير ذلك مما يتعلق بتجارة الشركة مع مصر في القرنين ١٦ ، ١٧ .

His Majesty's Commission 'Dropmore' II - IV - V.	— ٨
Spencer Papers II.	— ٩
House of Commons Reports II.	— ١٠
Statutes Public and Private 33.	— ١١

وهذه تحتوى على وثائق متفرقة وخاصة بالفترة ١٧٨٠ - ١٧٩٦ م.

Hansard Parliamentary Debates 29	— ١٢
----------------------------------	------

وفيها يناقش لأول مرة في البرلمان البريطاني ، بصفة جدية ، موضوع العلاقات العثمانية البريطانية .

ثانيا - الوثائق الفرنسية .

Archives des Affaires Etrangères.	(١)
Correspondance consulaire, Le Caire.	— ١
Correspondance consulaire, Alexandrie.	— ٢

وهذه المجموعة تشمل المراسلات المتبادلة بين القناصل الفرنسيين في القاهرة والإسكندرية وحكومتهم في فرساي .

Arch. Aff. Etr., Turquie 159 - 191.	— ٣
-------------------------------------	-----

وهذه تشمل المراسلات بين السفراء الفرنسيين في القسطنطينية وحكومتهم وبين السفراء والقناصل الفرنسيين في أنحاء الدولة العثمانية .

Rapports au Roi 1763 - 1778. — ٤

وهذه مجموعة هامة ، تشمل التقارير المرفوعة إلى الملك من السفراء الفرنسيين في القسطنطينية والقناصل الفرنسيين في مصر والمعنيين بالسياسة الفرنسية في اللبغات ، وهي تقارير خاصة إما بمشروعات الاحتلال الفرنسي لمصر أو استخدام طريق البحر الأحمر والسويس لصالح التجارة الفرنسية .

Archives historique du Ministère de la Guerre. (ب)

وهي في مجلدين تحت عنوان 'Memoirs sur l'Egypte et les Indes. جمعت في ١٧٩٨ ليطلع عليها نابليون ، وهي تشمل دراسة طيبة لأحوال مصر في أواخر القرن ١٨ ، ومقتطفات من آراء السفراء والقناصل الفرنسيين والرحالة عن مصر في عهده النظام القديم والثورة .

Archives historiques de la Chambre de Commerce de Marseille (ج)

وهي تشمل الرسائل المتبادلة بالغرفة التجارية في مرسيليا وسفراء فرنسا في القسطنطينية وقناصلها في القاهرة والإسكندرية ، وهي هامة في دراسة تاريخ تجارة مرسيليا في مصر .

ثالثاً — كتب الرحالة المعاصرين .

الرحالة الأوروبيون في مصر أواخر القرن ١٨ كثيرون ، قام M. Carré بجمع بعض الفرنسيين منهم في كتابه (Voyageurs et Ecrivains Français en Egypte. Le Caire 1932) أما عن الرحالة الإنجليز فلا نعرف كتاباً منشوراً اعتنى بجمعهم وتفصيل أسمائهم . وفيما يلي ملاحظات عن بعض المؤلفات المعاصرة لأواخر القرن ١٨ ، بعضها لرحالة وبعضها لأفراد كانوا في مهمة رسمية أو غير رسمية ، ونوع ثالث لأشخاص لم يزوروا مصر وإنما تعد كتاباتهم هامة في موضوع النشاط الأوربي في مصر في هذه المدة .

أولاً — الرحالة الإنجليز :

Antes, J. : Observations on the Manners. — ١

and Customs of the Egyptians. London 1800.

(Missionair der Brudergeneide. Basel 1869.)

Confidence in God ; (illustrated) in the life of J. Antes, a Missionary in Egypt. London 1799.

Anecdotes in the Life of John Artes. London 1799.

وأنتس هذا كان مبشراً مورافياً من أصل أمريكي ، وجاء من لندن إلى القاهرة أوائل ١٧٧٠ ، ليلتحق بالبعثة التبشيرية المورافية في مصر ومهمتها وقتذاك أن تتعقب آثار جيمس بروس للتبشير في الحبشة . ولكن مشروع التبشير في الحبشة لم ينفذ لعودة بروس نفسه ، فاستقر أنتس في مصر ، وقام ببعض الدعاية التبشيرية في البهنسة بين الأقباط دون نجاح ظاهر ، ثم رحل عن مصر في نهاية ١٧٨١ .

— ٢ —

Baldwin, G. : Narrative of Facts to the Plunder of the English Merchants by the Arabs etc. London ?

ويبدو أن هذا الكتيب نشر سنة ١٧٨٠ أو ١٧٨١ . وفيه يتناول بلدوين بالتفصيل قصة هجوم عرب الصحراء الشرقية على القافلة البريطانية بين السويس والقاهرة صيف ١٧٧٨ ، ويهتم كارلو روسيتي Carlo Rosetti التاجر البندقي الموسر بأنه كان المحرض على المؤامرة .

Baldwin : Slave Trade in Egypt. Alexandria 1790.

وهو تقرير صغير في عدة صفحات تناول فيه بلدوين (ربما بتكليف من

The Lords of the Committee for Trade.^(١)

أحوال تجارة الرقيق الأبيض (المماليك وتجارة العبيد في مصر .

Baldwin: Political Recollections Relative to Egypt. London 1801.

والكتاب فيما يبدو — كتب على عجل ، ردىء الأسلوب والتنظيم ، وأغلبه يشمل التقرير الذي قدمه بلدوين لهنرى ونداس H. Dundas أوأخر ١٧٨٥^(٢) مضافاً إليه نبذة عن نشاط بلدوين في مصر في المدة بين ١٧٩٥ و ١٧٩٨ ، وعن الحملة الإنجليزية على مصر لإخراج الفرنسيين ، ورأى بلدوين في حل المسألة المصرية .

(١) تقرير هذه اللجنة عن تجارة مصر موجود في

F.O. 78 Turkey 11. & B.M. Add. Mss. 38, 394 P.p. 80-97.

Speculations on the Situation and Resources of Egypt I.O.F.R.V.

(٢)

وجورج بلدوين هذا كان تاجراً من تجار شركة الليفانت في قبرص وعكا ١٧٦٠ - ١٧٦٦ . وفي ١٧٧١ خلف جورج بلدوين أخاه وليم William في منصب القنصلية البريطانية في قبرص ، وفي مارس ١٧٧٣ استقال من منصبه ، وأخذ يهتم بإحياء التجارة البريطانية مع مصر وبم شروع إحياء الطريق البرى عبر مصر . وكان عميلاً لشركة الهند الشرقية فيما بين ١٧٧٥ و ١٧٧٩ ، وقنصل بريطانيا العام في القاهرة فيما بين ١٧٨٦ و ١٧٩٥ ، حين وصله خطاب وزير الخارجية Grenville الذى يقرر فصله من القنصلية وإغلاق القنصلية البريطانية في القاهرة . ولكن بلدوين غادر مصر سنة ١٧٩٨ ، قبيل وصول الحملة الفرنسية على مصر ، إلى البندقية وظل في إيطاليا حتى التحق في مالطة في ديسمبر ١٨٠٠ بالحملة البريطانية الموجهة إلى مصر بناء على طلب Lord Keith وظل مع الحملة حتى وفاة القائد الإنجليزى Abercromby حين رجع بلدوين إلى لندن .

وبلدوين من الشخصيات الغامضة التى يختلف المؤرخون في تقديرها وتقدير الدور الذى قام به في النشاط البريطانى الخاص بمصر أواخر القرن ١٨ . وعلى كل حال قبول كتابه عن مصر في ١٨٠١ بهجوم عنيف من الرأى العام البريطانى . اقرأ

British Critic. Vol. XVIII. P. 89 et seq.
Edinburgh Review Vol. I. P. 59 et seq.

— ٣ —

Browne, W.G. Travels in Africa, Egypt and Syria London 1799.
وصل برون الإسكندرية سنة ١٠٩٢ ، في طريقه إلى الحيشة ولكن بعد وصوله إلى دارفور لقي صعوبات كثيرة اضطرته إلى الرجوع إلى القاهرة ١٧٩٦ . وكتابه هام لسببين : أولاً لأنه من الاكتشافات المبكرة لمنطقة دارفور ، وثانياً لأن برون — دون جميع الرحالة البريطانيين في ذلك الوقت — يعتبر بحق أصدقهم وأكثرهم أمانة وأكثرهم عطفاً وميلاً إلى الشرقيين .

Bruce, J. Travels to Discover the Source of the Nile. — ٤ —
Edinburgh 1799.

وصل هذا الرحالة الاسكتلندى الإسكندرية صيف ١٧٦٩ ، ثم تابع

رحلاته في البحر الأحمر والحبشة، ثم عاد إلى مصر، واستغرقت هذه الرحلات أربع سنوات تقريباً (١٧٦٩ - ١٧٧٣). وكتابات بروس هامة في دراسة تاريخ النشاط البريطاني في إفريقية، وبروس نفسه أخطأ حين ظن أنه وصل وهو في الحبشة إلى منابع النيل الأصلية، ثم يلام لادعائه أنه أول أوروبي زار هذه المناطق مع علمه بأن المبشر الجوزيتي بدرو بايز Pedro Paez سبقه إليها في ١٦١٥. وبروس لعب دوراً هاماً في المحاولات الأولى لدخول التجارة البريطانية الهندية منطقة الحرام في البحر الأحمر، وهو يفصل في رحلاته قصة هذا الدور وموقف السلطات البريطانية في لندن منه.

Cleghorn, H. Cleghorn Papers London 1925. — ٥

وكان كليجورن أستاذاً للتاريخ المدني في جامعة سانت اندروز، وصل الإسكندرية في منتصف ١٧٩٥ في طريقه إلى سيلان، بتكليف من هنري دنداس لشراء الفرقة العسكرية التابعة لكونت شارل السويسري التي كانت تعسكر في سيلان. وكان لهذا الأستاذ اتصال متين بكل من جورج بلدوين وكارلو روسيتي، وبدأ عن طريقهما يهتم بالتجارة البريطانية مع مصر ومشروع المواصلات بين الهند البريطانية ولندن عن طريق البحر الأحمر ومصر، وله عدة اقتراحات في هذا الصدد أرسلها إلى هنري دنداس.

Capper, J. Observations on the Passage to India Through Egypt. London 1783. — ٦

وكان كابر في خدمة شركة الهند الشرقية، وكتابه هام لدراسة طريق المواصلات عبر مصر في ذلك الوقت، فقد كان كابر من أكثر الإنجليز خبرة بأحوال الطرق البرية الموصلة بين أوروبا والهند.

Fay. E. Letters from India. London 1925. — ٧

سافرت هذه السيدة من إنجلترا إلى الهند عن طريق مصر (١٧٧٨)، وكتبت مذكرات عن مشاهداتها في الإسكندرية والقاهرة والسويس.

Hornemann, F. The Journal of F. Hornemann's Travels in 1797 - 8. London 1802. — ٨

وهو مستكشف ألماني زار مصر في ١٧٩٨، وعاصر الحملة الفرنسية على

مصر، وساعده نابليون لمواصلة استكشافاته في سنار ١٧٩٨ - ١٨٠٠، وكان يقوم بهذه الاستكشافات لحساب

'The Association for Promoting the Discovery of the Interior of Africa
Irwin, E. : A series of Adventures etc. London 1781 — ٩

وكان إروين^(١) في خدمة شركة الهند الشرقية، خرج من الهند في طريقة إلى إنجلترا ومعه بعض المراسلات الرسمية، واضطر إلى النزول في القصير متخذاً طريق القصير قنا، ثم شمالاً حتى القاهرة فالإسكندرية (١٧٧٧)، وكتاباته هامة لدراسة أحوال هذه المناطق الصحراوية في مصر وحياة البدو فيها، ويعتبر إروين أول الرحالة الرومانتيكيين^(١) الإنجليز في مصر.

Lusignan, S. A history of the Revolt of Ali Bey Against — ١٠
the Ottoman Porte etc. London 1783.

وكان لوسنيان تاجراً معاصراً لجيمس بروس، وخدم على بك الكبير، واستمر ملازماً له حتى وفاته حين ترك الليفانت ورحل إلى إنجلترا. ويتناول في كتابه وقائع ثورة على بك على الباب العالي. غير أنه يجب أن تقرأ كتاباته بحذر، لأنه لم يكن دقيقاً في فحص ما سمعه، ثم إنه نشر كتابه بعد عشر سنوات من نهاية الثورة، دون أن تكون معه مذكراته الخاصة التي تركها في الشام إبان فراره، ولذا خائنته ذاكرته كثيراً في أسماء الأشخاص والبلدان وفي ترتيب الحوادث، وكان لوسنيان موضع هجوم من معاصريه الرحالة الذين توخوا الدقة في كتاباتهم.

Parsons, A. : Travels in Asia and Africa etc. — ١١
London 1808.

وكان بارسونز تاجراً زار مصر سنة ١٧٧٨، في طريقه من الهند إلى إنجلترا — ويتناول في كتابه وصف بعض مشاهداته في مصر، وكلها تتعلق بعادات المصريين وحياتهم بوجه عام، كما تصورهما هو.

(١) اقرأ كتاب إروين تحت عنوان Eastern Epilogues, London 1780، وهو عبارة عن مجموعة من القصائد نظم بعضها إبان وجوده بمصر.

Rooke, H. Travels to the coast of Arabia Felix, and — ١٢
from thence, by the Red Sea and Egypt, to Europe
etc. London 1783.

وكان روك في خدمة شركة الهند الشرقية، وصل مصر سنة ١٧٧٧ في طريقه من الهند إلى إنجلترا . وكتابه هام لأنه يتناول أحوال الثغور الإسلامية على ساحل البحر الأحمر .

هؤلاء نماذج للرحالة الذين زاروا مصر أواخر القرن ١٨ (حتى ١٧٩٨)، ونشروا كتبهم بالإنجليزية في بريطانيا . ومن الممكن تقسيمهم إلى ثلاثة أنواع : النوع الأول يدخل فيه خدام شركة الهند الشرقية والتجار الذين يعملون بترخيص من الشركة . وغيرهم ممن زار مصر في طريقه إلى الهند البريطانية أو العكس — وهؤلاء يمكن أن يطلق عليهم الرحالة العابرون ، وهم يمثلون بحق ناحية من نواحي النشاط البريطاني خاصة والأوربي عامة في مصر والبحر الأحمر في القرن ١٨ ، وهي ناحية تصور زحف النشاط البريطاني على البحر الأحمر من الهند وهو الزحف الذي أوشك في النصف الثاني من القرن ١٨ أن يحدث تصادماً بين مصالح شركة الهند الشرقية وشركة الليفانت ، وبين المصالح الإمبراطورية من ناحية والاحتكارية من ناحية أخرى . والنوع الثاني هو المستكشفون الجغرافيون الذين بدءوا بحيمس بروس وانتهوا في هذه المدة بفردريك هورنمان . ويمكن أن يطلق عليهم أيضاً الرحالة العابرون ، لأن مقصدهم كان الاكتشافات الجغرافية في المناطق الإفريقية جنوب شرق مصر والحبشة . وهم أيضاً يمثلون اتجاهاً جديداً للنشاط البريطاني حول مصر في أواخر القرن ١٨ ، يسنده ويشجعه نشاط الجمعية البريطانية لاكتشاف أواسط إفريقية ، وهي الجمعية التي تكونت في ٩ يونية ١٧٨٨ برئاسة Lord Rawdon . والنوع الثالث يمكن أن نسميه الرحالة المستقرين ، وهؤلاء إما تجار شركة الليفانت ، أو أفراد في مناصب رسمية كالقناصل أو خدمة تبشيرية ، أو باحثون ومحبو الآثار . أما التجار وأصحاب المناصب الرسمية فإنهم قلوا منذ أغلقت شركة الليفانت قنصليتها في القاهرة سنة ١٧٥٧ ، إذ اتخذت سياسة معادية نحو فتح هذه القنصلية مرة أخرى أو تشجيع أى تجارة إنجليزية مع مصر طوال النصف الثاني من القرن ١٨ . أما الاتجاه التبشيري فن ناحية العملية يبدو ضئيلاً ، وكذلك البحث عن الآثار بدأ في الانقراض

منذ النصف الثاني من القرن ١٨ ، بعد أن غزا مصر عدد كبير من المهتمين بالآثار المصرية اهتماماً جدياً أو غير جدى ، فى النصف الأول من القرن ١٨ . ولئن قارب هذا الاتجاه أن يخفى فى النصف الثانى من هذا القرن ، فقد حل محله اتجاه آخر يجمع بين الحركة التبشيرية والبحث فى الآثار ، وهو استغلال كتابات الرحالة عن مصر — والآثار فيها بصفة خاصة — لخدمة الكتاب المقدس . وظهر هذا الاتجاه فى محاولة Thomas Harmer^(١) تفسير بعض ما جاء فى الكتاب المقدس ، مستخدماً كتابات الرحالة عن مصر وما جاورها .

ثانياً — رحلة إنجليز لم يزوروا مصر .

وهناك مجموعة كبيرة من الرحالة الإنجليز الذين لم يزوروا مصر ، ولكنهم زاروا أماكن قريبة منها ، وتعتبر كتاباتهم هامة لموضوع النشاط الأوروبى فى مصر وما حولها . نذكر من هؤلاء :

١ — Sutherland: Account of a Tour up the Straits from

Gibraltar to Constantinople. London 1792 ?

والكتاب يتناول أزمة اتشاكوف Oczakov ١٧٩١ — ١٧٩٢ ، بين بريطانيا وروسيا ، وسياسة إنجلترا إزاء الدولة العثمانية ، كما يتعرض للاطلاع الفرنسية فى مصر .

٢ — Macintosh, W. : Travels in Europe, Asia and Africa.

London, 1782.

ورغم أنه لم يتعد فى رحلاته مدخل البحر الأحمر فانه كتب عن التجارة البريطانية الهندية مع السويس ، وناقش حجج شركة الهند الشرقية فى سياستها العدائية نحو هذه التجارة ، وهاجمها بعنف ، (الجزء ٢ . ص ١٣٥ وما بعدها) .

٣ — Taylor, J. : Considerations on the Practicability and

Advantages of a more speedy Communication between
Great Britain and her Possessions in India. London 1795

والمؤلف كان فى خدمة شركة الهند الشرقية ، وبدأ يهتم بطريق البحر

(١) Observations on Divers Passages of Scriptures from Books of Voyages
and Travels.

اقرأ كذلك المقدمة التى كتبها (R. Clayton) أسقف (Clogher) فى كتاب

A Journal from Grand Cairo to Mount Sinai and back again. Missionaires de Propaganda Fide a Grand Cairo 1722. (London 1753).

الأخضر ومصر أواخر ١٧٩٠ ، وقدم تقريرين بهذا الشأن ؛ إحداهما^(١) إلى سير روبرت أبروكرومبي Sir R. Abercrombie في الهند (١٧٩٠)، والآخر^(٢) لهنري دنداس في لندن (١٧٩١)، ولكن شركة الهند عارضت المشروع الذي وضعه لاستخدام هذا الطريق ، وكتابه الأخير مستمد في الواقع في روحه وتفصيله من كتاب جيمس كابر .

ثالثاً — الرحالة الفرنسيون .

تتمتاز كتابات الرحالة الفرنسيين في مصر أواخر القرن ١٨ على وجه العموم بأمور منها أنها أكثر تفصيلاً ودراية بأحوال مصر السياسية والتجارية — وإن لم يظهر في كتاباتهم الفهم الصحيح للعقلية الشرقية ، كما تتمتاز هذه الكتابات أيضاً بأنها أثرت تأثيراً كبيراً — ولا سيما كتابات فولني Volney — في تكوين الفكرة الأوروبية العامة عن مصر ، وهو تأثير أكبر مما أحدثته كتابات الرحالة الإنجليز حتى في إنجلترا نفسها . وإليك بعض هؤلاء الرحالة :

١ — Savary, C. Lettres sur l'Egypte Paris 1785.

وترجمته الإنجليزية (١٧٨٥ لندن) لا بأس بها . ويمتاز سافاري بوصفه لآثار ، كما تتمتاز كتاباته عن مصر بصفة عامة بطابع رومانتيكي . ومع هذا يجب أن يقرأ سافاري بحذر شديد ، لأنه أخذ كثيراً عن غيره من الرحالة : ولأنه ادعى زيارته للصعيد على الرغم من أن رحلته تتعد جنوب أهرام الجيزة ، وهذا ما جعله موضع نقد عنيف من معاصريه .

٢ — Sonnini, Ch. : Voyage dans la Haute et Basse d'Egypte... Paris 1798.

الترجمة الإنجليزية الأولى (١٧٩٨) رديئة ، أما الثانية المعروفة بتأريخها (١٧٩٩) فجيده . وسونيني من بحاث العلوم الطبيعية ، ويمتاز كتابه بأنه شمل الدلتا والصعيد ، كما يتميز بدراسة تفصيلية لنباتات وحيوانات مصر . ولئن كان سونيني هوجم من الرأي العام الإنجليزي ، فراجع هذا في الواقع إلى أنه نشر كتابه في وقت كان النزاع بين الدولتين على أشده بسبب الحملة الفرنسية على مصر .

٣ — Volney, C.F. Voyage en Syrie et en Egypte. Paris 1787,

وترجمته الإنجليزية (١٧٨٧) رديئة . كانت رحلة فولني أكثر الرحلات في

مصر انتشاراً ؛ ويمتاز كتابه من ناحية العرض بالتنظيم، ومن ناحية الموضوع بأنه أميل إلى الواقع، وهو في هذا يناقض سافاري تماماً . ونظر فولني إلى مصر بعيني الناقد الغربي الذي ينتمى لا إلى القرن 'Grand Siecle' الأعظم، ولكن إلى الثورة. وصفت Annual Register (١) كتاباته بالدقة والأمانة ، وقالت عنه

(٢) The English Review

He avoided the errors of former French travellers, who have indulged the sallies of imagination at the expense of veracity.

واقعية فولني — التي كانت سبباً في تبوءه هذه المكانة — ليست في الحقيقة ترجع إلى فهم صحيح للعقلية المصرية، أو فهم المشاكل الاجتماعية لسكان هذا الإقليم ، بل ترجع إلى أنه بسط للعالم في صورة واضحة قوية اضمحلال الإقليم السياسي والاقتصادي وضعف البكوات الحربي . والواقع أن المدة التي قضاهما فولني في مصر ، ومعرفته المحدودة جداً باللغة العربية، لا يمكن أن تكون أهله لفهم صحيح لطبيعة الحياة المصرية الاجتماعية والاقتصادية . يضاف إلى هذا أن الفرنجة في الشرق الأدنى كانوا يعيشون على هامش المجتمع الإسلامي .

Tott, Baron de, Memoirs 2 vols. London 1786

— ٤

أرسل هذا البارون في ١٧٧٦ إلى القسطنطينية، في بعثة الغرض منها تنظيم المدفعية العثمانية وتحصينات الدردنيل، وقدم تقريراً عند عودته إلى فرساي عن حالة الدولة العثمانية . ثم أوفد في رحلة تفتيشية لثغور الليفانت، فزار مصر، وكتب تقريره سنة ١٧٧٩ وأيد فيه مشروع احتلال فرنسا لمصر . وجزء كبير من مذكراته يشمل نشاطه في الليفانت .

Saint - Priest, Le Comte de. Memoirs sur l'Ambassade de

— ٥

France en Turquie. Paris 1877.

وكان سانت — برست سفيراً لفرنسا لدى البلاط العثماني ، — قدم تقريراً إبان زيارته لفرنسا (وهو لا يزال في منصبه) ١٧٧٧ — ١٧٧٨ ، خاصاً باحتلال فرنسا لمصر . ثم قدم عند عودته نهائياً ١٧٨٩ سلسلة من المذكرات عن تاريخ

(١) 1787. P. 196.

(٢) Vol. VII. P. 110.

سفارته في القسطنطينية ، تناولت إحداها تجارة وبحرية فرنسا في الليفانت ، وهي هامة لموضوعنا .

والخطة تلزم على كل حال في قراءة كتب الرحالة بصفة عامة ، ذلك لأن بعضهم يأخذ عن غيره وينسبه إلى نفسه ، أو يكتب عن أماكن لم يرها (قارن مثلاً بين كتابة Savary عن على بك الكبير و Lusiguan عن نفس الموضوع أو كتابة Taylor عن الطريق البرى عبر مصر والبحر الأحمر وكتابة Capper عن نفس الموضوع) . وأهمية هذه الرحلات في دراسة أحوال مصر الداخلية ليست بنفس الأهمية التي لها في توضيح أوجه الاهتمام والنشاط الأوربي بمصر وما جاورها من البلاد . ولقد قام الرحالة بصفة عامة بسهم كبير في إمداد الرأي العام الأوربي بتلك الفكرة الشائعة هناك عن مصر ، فترى هذا التأثير واضحاً جداً في انتشار الرحلات وكتب الرحالة في إنجلترا ابتداء من ١٧٧٥ تقريباً ، وتلهف الرأي العام الإنجليزي على قراءتها ، كما يتضح من تعليقات المجلات المعاصرة . وإليك أسماء بعضها : —

1. — The Annual Register.
2. — The Gentleman's Magazine.
3. — The Analytical Review.
4. — The British Critic.
5. — The Critical Review.
- 6 — The Eclectic Review.

كما يظهر هذا التأثير في اعتماد شعراء الحركة الرومانتيكية في إنجلترا على كتب الرحلات عن مصر والشرق الأدنى ، للاقتباس منها وأخذ التفسيرات والأسس في أشعارهم . وأخيراً يتضح هذا التأثير في اعتماد الدوائر العلمية المعاصرة اعتماداً كلياً في كتاباتهم عن مصر على كتب هؤلاء الرحالة ، وهو ما يلحظه الباحث في كل المقالات التي كتبت عن مصر في طبعات دائرة المعارف الإنجليزية أواخر القرن ١٨ .

Encyclopaedia Britannica 1773.

الطبعة الأولى

1778 - 82.

الطبعة الثانية

1797.

الطبعة الثالثة

ثالثاً : المؤلفات التي تناولت هذا الموضوع .

لم يهتم الباحثون من المصريين والإنجليز — للأسف — بدراسة النشاط الأوربي في مصر في القرن ١٨ ، إنما جاءت هذه الدراسة — حتى النشاط البريطاني في مصر — على يد بعض الباحثين الفرنسيين ^(١) . وأهم هذه المؤلفات :

Charles-Roux, F. : Les Origines de l'Expedition d'Egypte. — ١

Paris, 1910.

الأستاذ شارل — رو عالم فرنسي جليل ، خدم تاريخ المصالح الفرنسية في مصر والشرق الأدنى عامة ، وتعتبر مؤلفاته من المراجع الأولى في هذا الموضوع. وكتاباته عن تاريخ النشاط الفرنسي في مصر في القرن ١٨ مستمدة من الوثائق الفرنسية ، وهي دراسة سليمة فسرت بوضوح خطوط السياسة الفرنسية تجاه مصر بصفة خاصة والدولة العثمانية عامة في القرن ١٨ . تناول هذا الأستاذ في كتابه « أصول الحملة الفرنسية على مصر » سياسة فرنسا إزاء مصر ، وهي تشكلت — كما رآها — بمصالح فرنسا التجارية في البحر الأبيض ، وبالعلاقات بين روسيا والدولة العثمانية وموقف فرنسا منها ، وأخيراً النزاع الاستعماري بين فرنسا وإنجلترا . فشرح (الفصول ١ — ٧) تاريخ التجارة الفرنسية مع مصر ، وأحوال الرعايا الفرنسيين هناك ، والمشروعات الفرنسية الخاصة بإحياء طريق البحر الأحمر والسويس ، والمشروعات والاقتراحات التي وضعت لاحتلال فرنسي لمصر . ثم شرح « الفصل ٨ ، ٩ » أثر قيام الثورة في فرنسا على تجارة الليفانت الفرنسية ، وعلى الغرفة التجارية في مرسيليا بصفة خاصة. وتصدع النظام التجاري الفرنسي ومحاولات الجمعية الوطنية في باريس ولجنة إنقاذ الوطن لتنظيمها . وفي الفصل الأخير « الفصل ١٠ » يتناول المؤلف مقدمات الحملة الفرنسية على مصر .

Charles Roux, F. : La politique Française en Egypte à la ٢ —

fin du XVIIIe. siècle. (Revue Historique 1906. t. 91. P. 567 et seq.

وفي هذا المقال يتناول الأستاذ شارل رو السياسة الفرنسية في مصر ، ابتداء من ١٧٨٠ حتى الحملة الفرنسية ، على نحو ما جاء في كتابه أصول الحملة الفرنسية في الفصول الأخيرة منه .

(٢) هناك اتجاه اليوم في إنجلترا ، ولا سيما في مدرسة الدراسات الإفريقية والشرقية ، يرى إلى الاهتمام بدراسات النشاط البريطاني في الشرق الأدنى في القرن ١٨ .

Charles-Roux. F. Le projet Français de Commerce avec — ٣

l'Inde par Suez sous le Règne de Louis XVI. Paris 1925.

تناول الأستاذ في المقدمة ١ اولات الفرنسية في القرن ١٧ من أيام ريشيليو حتى ١٧٦٣ — بخصوص طريق البحر الأحمر ومصر التجاري . ثم تناول الظروف الجديدة بعد ١٧٦٣ التي دعت فرنسا إلى زيادة الاهتمام بهذا المشروع ، ثم يفصل أهم المشروعات التي قدمت للحكومة الفرنسية ، وتتعلق باستخدام الطريق البري . وأهم هذه المشروعات : مشروع Saint-Priest وتقرير البارون Mure ، وتقرير de Tott قنصل فرنسا العام في مصر (وهو من أدق التقارير) وبعثة La Prévalaye و Bonneval في مصر ، ومجهودات choiseul-Gouffier السفير الفرنسي في القسطنطينية ، ثم بعثة Turquet ، وقد انتهت كل هذه المشروعات والتقارير والمجهودات بالاتفاقية الفرنسية — المملوكية ١٧٨٥ .

Charles-Roux, F. d'Isthme et le Canal de Suez. Tome I. — ٤

Paris 1901.

ولا يهمننا من هذا الكتاب سوى الجزء الخاص بمصر العثمانية ، وهو لا يتعدى ما تناوله في كتابه السابق الذكر

Charles-Roux, F. Les Echelles de Syrie et de Palestine — ٥

au XVIIIe. siècle. Paris 1907.

ويتناول المؤلف في هذا الكتاب حالة المراكز التجارية الفرنسية على ساحل الشام ابتداء من سنة ١٧١٥ ، أي نظمها وحياة الرعايا الفرنسيين فيها ، كما يتناول بالعلاج السريع التنافس التجاري في الشام بين فرنسا وإنجلترا ، ولا سيما في حلب . وفي الفصل الرابع بالذات يتناول المؤلف بالبحث الأحداث السياسية في سوريا نفسها ، كغزو على بك الكبير ، وثورة ظاهر العمر ، وغزو محمد بك أي الذهب ، ورحلة البارون دي توت ، وحكومة الخزار في عكا . ثم يتناول أخيراً بالدراسة أثر قيام الثورة الفرنسية على حالة المراكز التجارية الفرنسية في الشام ، حتى إلغاء الغرفة التجارية في مرسيليا أواخر سنة ١٧٩١ .

Charles-Roux, F. : Autour d'une Route l'Angleterre, — ٦

l'Isthme de Suez et l'Egypte au XVIII siècle.
Paris, 1922.

ويبحث المؤلف في هذا الكتاب تاريخ النشاط البريطاني في مصر في القرن الثامن عشر معتمداً على كتابات الرحالة الإنجليز في مصر ووثائق وزارة الخارجية الإنجليزية 48-55 — S.P. Turkey F.O. Turkey ١ et seq — ووثائق المتحف البريطاني . وينقص الكتاب : أولاً أنه لم يتعرض لعلاقة شركة الليفانت مع مصر في النصف الأول من القرن الثامن عشر إلا في ثلاث صفحات مع أنه لا يمكن فهم موقف هذه الشركة من المحاولات البريطانية لإحياء طريق البحر الأحمر ومصر إلا بدراسة دقيقة لعلاقة الشركة مع مصر في النصف الأول من القرن الثامن عشر . ثانياً : جاءت معالجته للنشاط البريطاني في مصر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر قاصرة على دراسة وثائق وزارة الخارجية والمتحف البريطاني ، ولم يطلع على وثائق وزارة الهند، ولذا خرج البحث ناقصاً — فيما نعتقد — في ناحية الربط بين الظروف الاقتصادية في البنغال وبين النشاط البريطاني الأحمر . وفي توضيح وجهة نظر شركة الهند الشرقية وموقفها من هذا النشاط . وبالحملة جاءت دراسة المؤلف لهذا الموضوع مقصورة على موقف القاهرة والقسطنطينية ، ولا تشمل بمباى وكلكتا .

Pingaud, L. Choiseul - Gouffier: la France en Orient — V
sous Louis XVI. T. I. Paris

وهو أفضل ما كتب عن نشاط هذا السفير الفرنسي بالقسطنطينية الذي خلف سانت برست سنة ١٧٨٤ ، وعن آرائه واقتراحاته الخاصة بالسياسة الفرنسية التجارية في أملاك الدولة العثمانية، ولا سيما البحر الأسود (سنة ١٧٨٤ — ١٧٨٨) ، والخليج الفارسي (سنة ١٧٨٤ — ١٧٨٨) . ويهمننا من نشاط هذا الرجل الذي وجه نحو مصر وانتهى بالاتفاقية الفرنسية المملوكية سنة ١٧٨٥ .

Masson, P. Histoire du Commerce Français dans Le — ٨
Levant au XVIIIe. siècle. Paris.

وماسون كان أستاذاً في جامعة Aix — Marseille ، وعنى بدراسة التجارة الفرنسية مع الدول الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط فيما بين القرن ١٦ وأواخر القرن ١٩ . وله في هذا عدة مؤلفات كثيرة . ويهمننا من كتابه السالف

الذكر الفصلين ٢٥ ، ٢٦ ، ففي الأول يتكلم عن العلاقة التجارية بين فرنسا وسوريا وآسيا الصغرى وفارس والخليج الفارسي ، وفي الثاني يتكلم عن مصر والبحر الأحمر .

Hoskins, H.L. : British Routes to India. New York. — ٩

London. 1928.

يتناول المؤلف في الفصل الأول موضوع النشاط البريطاني في مصر أواخر القرن ١٨ ، معتمداً على مؤلفات شارل رو واستخدام ناقص لبعض وثائق وزارة الهند، وأسوأ ما في هذا الكتاب فهم المؤلف لجورج بلدوين وتقديره للدور الذي قام هذا الرجل في قصة النشاط البريطاني بمصر أواخر القرن الثامن عشر .

Wood., A. :History of the Levant Company Oxford 1935 — ١٠

وهذا الكتاب من أحدث الكتب التي تناولت تاريخ شركة الليقانت بدراسة مبنية على الوثائق البريطانية ، وهو هام لتاريخ العلاقات الإنجليزية العثمانية ، عليه أنه تناول فترة طويلة جداً « القرون ١٦ — ١٧ — ١٨ — ١٩ » في حين ضيق ، ولذلك خرجت بعض أجزائه مضغوطة ومبهمة. ويهمل منه ما كتبه عن ويؤخذ علاقة شركة الليقانت بمصر في النصف الأول من القرن الثامن عشر . أما في النصف الثاني فهو يعتمد على شارل رو وهو سكتز .

إلى جانب هذه المراجع الخاصة بالنشاط الأوربي في مصر يوجد عدد كبير من الكتب التي تناول تاريخ مصر في هذه المدة، والتي تعالج عن قريب أو بعيد نشاط الدول الأوربية في مصر وما جاورها من بلاد . ولا نخلنا في حاجة إلى عرضها ونقدها ، فهي ليست فيما نعتقد متصفة بدراسة دقيقة مفصلة لهذه الناحية من تاريخ مصر .

محمد أنيس